AL-SANUSI

AL-NUR AL-LAMI'

2274
.817
.368

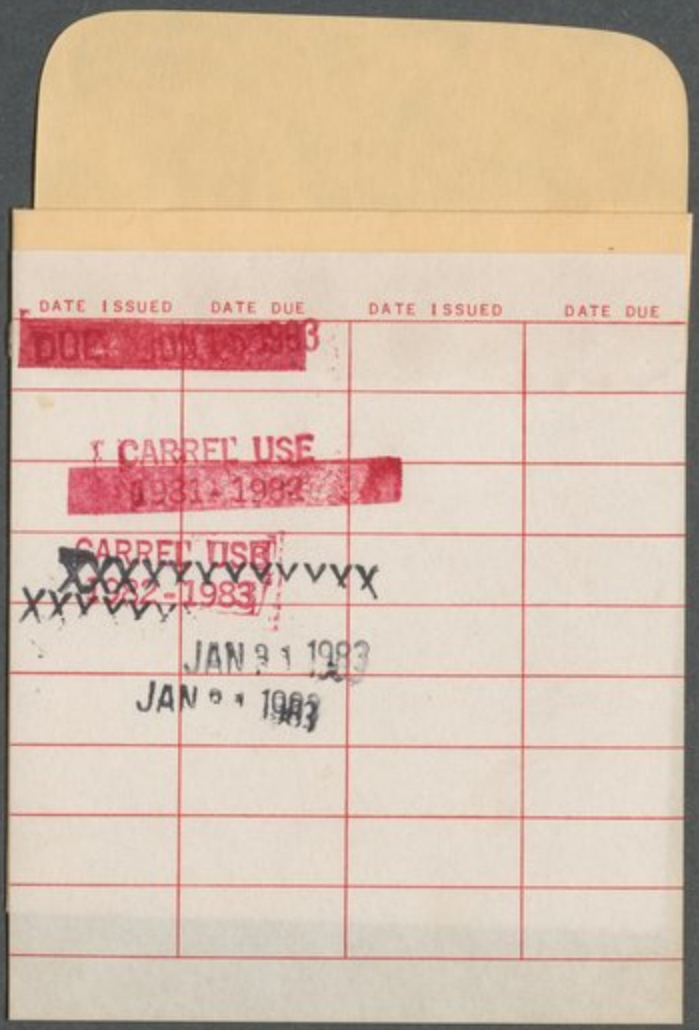
DATE ISSUED
DATE DUE
DATE ISSUED
DATE DUE
CARREL USE
1981-1982
CARREL USE
1982-1983
JAN 31 1983

Princeton University Library
32101 080197823

كتاب

النور اللامع

في بيان الأصل الجامع

للفقير اليه تعالى

ابراهيم بن ادريس السنوسى الفاسى

طبع باشراف
صلاح الدين الكيلاني (أبو كمال)
بأمر من سيده

ثمن النسخة ١٠٠ ق.س

al-Sanūsi, Ibrāhīm ibn Idris

al-Nūr al-lāmi'

كتاب

النور اللامع

في بيان الاصل الجامع

للفقير اليه تعالى

ابراهيم بن ادريس السنوسى الفاسى

طبع باشراف
صلاح الدين الكيلاني (أبو كمال)
بأمر من سيده

ثمن النسخة ١٠٠ ق.س

(RECAP)

2274
.817
.368

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح أعين بصائر المؤمنين من عباده وهداهم بنور معرفته لسلوك طرق رضاه ورشاده .

نحمده من إله خلق العوالم على أجمل ابتداع وأتم انتظام وجعل الدين عنده دين الاسلام وأمر بالاتحاد والتعاون والتناصر والالتحام .

قال تعالى خطاباً لأهل الايمان .

وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى ٱلإِثْمِ وَٱلعُدْوَانِ .

والصلوة والسلام على من خلقت الاكوان لأجله ووجب اتباع قوله والاقتداء بفعله الذي أمر أمته ان يكون بعضهم لبعض على حفظ الدين وصيانته انصاراً وأعواناً . فقال عليه السلام .

وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا .

وعلى آله وأصحابه الذين كانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم . وسائر أتباعهم وأحزابهم ومن هدي هديهم أما بعد فان الله تعالى خلق الخلق لأجل معرفته . والتحقق بعبوديته . والقيام بحقوق ربوبيته . باتباع شريعته المحمدية المطهرة والمحافظة على قواعدها وقوانينها المقررة التي آكَدُها أداء النصيحة والمحافظة على حقوق الاخوة الدينية واتحاد الكلمة وجمع القلوب على مايتعلق بصيانة شرف الشريعة الشريفة وصيانة حقوق جميع أفراد الملة المحمدية وذلك هو الامر المطلوب وكذلك الاتيان بما يتعلق بذلك من الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الارحام .

مما أشارت لوجوبه الآيات البينات والاحاديث الصحيحة عنه عليه السلام . وحيث أن السلامة والفوز بسعادة الدارين وبلوغ المراد .متوقف على صدق الاتحاد . والقيام بواجبات تلك الحقوق وحسن الانقياد . وضعت هاته الرسالة لتقرير ذلك وسلكت في بيان أصوله بحمد الله تعالى مع الاختصار أحسن المسالك . ورتبتها على مقدمة وبابين ونتيجة وهي الخاتمة.

المقدمة في بيان وجوب النصيحة العامة وبيان معناها والاشارة الى الاصل المراد من مبناها .

الباب الأول في بيان بعض ماورد في وجوب الاتحاد من الآيات البينات والأحاديث الصحيحة وبيان فوائده وما فيه من المنافع . وبيان الاسباب القاطعة والآفات المانعة من فهم السر المودع في ذلك ومعرفة الاصل الجامع .

الباب الثاني في تقرير اثم من قطع ما أمر الله بوصله ووجوب إلحاق كل فرع بأصله .

النتيجة وهي الخاتمة في بيان المقصود من تلك القواعد . وما يترتب على الاجتماع والاتحاد من المنافع وعلى ضد ذلك من المفاسد . وبيان موضع الاجتماع لتمام القوة والانتفاع .

وسميتها . النور اللامع . في بيان الاصل الجامع

ومن بحر فضل الله الاستمداد . وعليه في كل الامور الاعتماد .

المقدمة

في بيان وجوب النصيحة العامة وبيان معناها . والاشارة الى الاصل المراد من مبناها

أخرج الامام البخاري في صحيحه عنه ﷺ أنه قال

الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلّٰهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ .

أي قوام الدين وعماده النصيحة لله بالايمان به واجتناب مساخطه وإتيان محابّه والاعتماد في كل الامور عليه والاخلاص له في سائر الاعمال ورد العاصين إليه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه والنصيحة لرسوله ﷺ بالتصديق برسالته والايمان بجميع ما أتى به واحياء سنته ونصرة شريعته . والقيام بجميع حقوق أهل ملته ، والنصيحة لأئمة المسلمين بطاعتهم واعانتهم على الحق وعلى جميع مافيه مصلحة الخلق وردّ القلوب النافرة اليهم . وحسن الظن بهم والدعاء لهم .

والنصيحة لعامة المسلمين بالشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وكف الاذى عنهم وحفظ حقوق أخوّتهم الدينية وتعليمهم ماينفعهم والذّب عن أموالهم وأعراضهم وقال عليه السلام

مَا أَهْدَى الْمُسْلِمُ إِلَى الْمُسْلِمِ أَحْسَنَ مِنْ كَلِمَةِ حِكْمَةٍ سَمِعَهَا فَوَعَاهَا وَعَمِلَ بِهَا فَازْدَادَ بِهَا هُدًى .

وقال تعـــالى :

فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَيٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ .

وعلامة ذلك الانقياد الى كل عمل مقرب الى الله تعالى من جهة التكليف المتوجه على الاذن من أمر أو نهي ومخالفة الهوى في طلب مرضاة عالم السر والنجوى والمراد بالعبـاد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين اجتنبوا الطاغوت وأنابوا الى ربهم فهم الذين لهم البشرى وهم الذين هديهم الله وهم أولو الالباب والمراد بالطاغوت هنا الشيطان وكل ما عُبد من دون الله ، المعنى تركوا مازيّنه لهم الشيطان من قبيح الاعمال وعلموا أنه لهم عـــدو مبين فأعرضوا عن وساوسه مستضيئين بنور معرفـــة الله الذي به يتميز الحق من الضلال وانما يجتنب الطاغوت من خالف هواه واتبع رضى مولاه ورجع اليه رجوعاً كلياً بالخروج عما سواه كما يشعر به قوله وأنابوا الى الله أي أقبلوا عليه معرضين اعراضاً كلياً عما سواه فهم الذين استمسكوا بالعروة الوثقى واعتصموا بحبل الله .

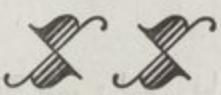

الباب الاول

في بيان بعض ماورد في وجوب الاتحاد من الآيات البينات والاحاديث الصحيحة وبيان فوائده وما فيه من المنافع وبيان الاسباب القاطعة والآفات المانعة من فهم السر المودع في ذلك ومعرفة الاصل الجامع

قال الله تعالى

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا الآية .

المعنى تمسكوا جميعاً أيها المؤمنون بدين الاسلام المكني عنه بحبل الله وكونوا جميعاً متصفين بما يقتضيه ذلك الدين القيم من مكارم الاخلاق والبعد عما يوجب بينكم الخلاف والشقاق وعن الاتصاف بأوصاف الجهل والنفاق ثم نهاهم سبحانه وتعالى عما يوجب الفرقة ويزيل الالفة والمحبة بقوله ولا تفرقوا وبقوله

وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم .

يعني تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل واحد منهم رئيساً في بلد ثم اختلفوا بأن صار كل واحد منهم يدّعي أنه على الحق وان صاحبه على الباطل ولما أمر الله تعالى هذه الامة بأن يكونوا آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر في قوله

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ الآية.

وذلك لايتم إلا إذا كان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قادراً على تنفيذ هـذا التكليف على الظلمة والمعتدين والمتغلبين ولا تحصل هاته القدرة إلا اذا حصلت الالفة والمحبة بين أهل الحق والدين فلا جرم حذرهم الله تعالى عن التفرقة والاختلاف لكيلا يصير ذلك سبباً لعجزهم عن القيام بهذا التكليف فعلى المسلمين أن لايكونوا متبعين أهواءهم بمقتضى طباعهم غير متفقين على كلة واحـدة في نصرة الدين وردع المفسدين المتعدين وقد سئل النبي ﷺ وهو على المنبر من خير الناس ؟ قال

آمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَتْقَاهُمْ لِلّٰهِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِم.

وقال رسول الله ﷺ

عُذِّبَ أَهْلُ قَرْيَةٍ فِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفاً عَمَلُهُمْ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالُوا يَارَسُولَ اللّٰهِ كَيْفَ ؟ قَالَ لَمْ يَكُونُوا يَغْضَبُونَ لِلّٰهِ وَلَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ .

وقال تعـالى

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً يعني في الجاهلية قبل الاسلام كانت بينهم العداوة والبغضاء والحروب المتواصلة فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ (بنعمـة الاسلام) فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً يعني صرتم بسبب تلك النعمة التي هي التآلف اخواناً متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلة الحق وقال تعالى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ والخطاب موجه الى الامة المحمدية فهذه وصية لجميع المسلمين امر الله تعالى المؤمنين بإقامة الدين أي حفظه ووقايته والاجتماع عليه ونهاهم عن التفرق فيه فان يد الله ونصرته مع الجماعة وانما يأكل الذئب الشاة البعيدة النـافرة المنفردة عن الجماعة .

يحكى أن حكيما أوصى اولاده عند موته وكانوا جماعة فقال لهم آيتوني بعصي فجمعها فقال لهم اكسروها وهي مجموعة فلم يقدروا على ذلك ثم فرقها فقال لهم خذوها واحدة واحدة فاكسروها فكسروها فقال لهم هكذا أنتم بعدي لن تُغلبوا ما اجتمعتم فاذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأهلككم وهكذا القائمون بالدين اذا اجتمعوا على اقامته ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو وهذه صفة المؤمنين المؤيدين فهم الموعودون بالنصر في قوله تعالى

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ «روم»

قال العلماء في هذه الآية تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر وتنبيه للمؤمنين على أن العاقبة لهم لأنهم هم المتقون وقد قال تعالى وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينْ

وقال الله تعالى

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ «مجادلة»

قال بعض الاكابر فان قلت فاذا كان الله قوياً عزيزاً غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين في بعض الاحيان وقد وعدهم النصرة ؟

قلت الجواب عن ذلك من وجهين

أحدهما ان الغلبة والنصرة منصب شريف لايليق بالكافر لكن الله تعالى بمقتضى حكمته تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميع الاوقات لحصل العلم الضروري بأن الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الايمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله تعالى .

الثاني ان المؤمنين قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا تمحيصاً لذنوبه وتطهيراً لقلبه .

وأما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب وما من سابق عدل إلا له لاحق فضل ولا سابق فضل إلا له لاحق عدل فالله تعالى يُقلب الانسان تارة من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء وانواع الالآء والنعماء واخرى بعكس الامر كما يفعله الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلباً لصلاحه والزاماً للحجة وازاحة للعلة ففي هذه المعاملة تربية له وفائدة عظيمة في دينه ودنياه ان تفطن قال تعالى

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ يعني يوم أُحد من قتل سبعين منكم قال تعالى

قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيْهَا يعني من المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وامر سبعين قال تعالى

قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا يعني تعجبتم وجزعتم وقلتم من أين اصابنا هذا فقد قال المنافقون لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار يوم أحد وادى ذلك الى ان قالوا من أين هذه المغلوبية للمشركين فكيف انتصروا علينا مع شركهم وكفرهم بالله ونحن ننصر رسول الله ودين الاسلام فامر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يجيب عن سؤالهم فقال تعالى

قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُم

اي هذا الانهزام انما حصل بشؤم عصيانكم وذلك بما حصل منهم من مخالفة الامر ومن الفشل وبما وقع بينهم من المنازعة وبانهم فارقوا المركز وفرقوا الجمع واشتغلوا بطلب الغنيمة معرضين عن طاعة الرسول عليه السلام في محاربة العدو فهذه كلها ذنوب ومعاصي والله تعالى انما وعدهم النصر بشرط ترك المعصية قال تعالى

إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ

المعنى ان تنصروا دين الله وسنة رسول الله بالاتباع والحفظ والصيانة ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت أقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها ويؤيدكم في موقعها فاذا فات الشرط لاجرم يفوت المشروط قال تعالى

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ومن جملة ذلك النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن طاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم ثم قال تعالى

وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا « الآية »

قال تعالى في آية اخرى يمدح المؤمنين

فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّابِرِينَ

يعني فما فتروا وما انكسرت همتهم وما ضعفوا عن العدو ولا عن الجهاد ولا ضعفوا في الدين وما استكانوا يعني ماخضعوا للعدو والله يحب الصابرين على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم قال تعالى

وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ

يعني لامن العُدة والعدد وهو تنبيه على أنه لاينبغي للمؤمن أن يركن الى شيء من ذلك بدون اعتماد على الله تعالى فإن ترتُّب النصر على كثرة العُدة والعدد ليس الا بطريق جرى العادة من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر فاذا لم يكن الاعتماد على الله تعالى لاتفيد مع العدة والعدد بل لاينبغي وجود ذلك شيئاً .

قال الله تعالى

وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي ٱلْأَبْصَارِ «عمران»

وقال تعالى

وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْغَيْبِ

يعني وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه بالغيب يعني غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ينصرونه

ولا يبصرونه وإنما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم فعلى العاقل نصرة الدين على مقتضى العهد المتين ولا يتم ذلك الا بالاتحاد وجمع القلوب وحفظ شعائر شريعة سيد المرسلين وصيانة حقوق جميع افراد المسلمين .

قال الله تعالى

إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ «انبياء»

ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم أيها الناس التي يجب أن تحافظوا عليها بحفظ حدودها ومراعاة حقوقها وعدم الاخلال بشيء منها حالة كون تلك الامة أي الملة أمة واحدة أي ملة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام فانهم متفقون في الاصول وان كانوا مختلفين في الفروع بحسب الامم والاعصار وأنا ربكم لا إله لكم غيري فاعبدون خاصة ولا تشركوا بي شيئاً ثم قال تعالى على جهة الذم والانكار

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ «الآية انبياء»

القطع فصل الشيء مدركا بالبصر كالأجسام أو بالبصيرة كالأشياء المعقولة والمعنى جعل الناس أمر الدين قطعاً واختلفوا فيه فصاروا فِرَقاً كأنه قيل ألا ترون الى عظيم ماارتكب هؤلاء في دين الله حيث جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قِطَعاً فأصاب كل جماعة منهم قطعة من الدين فصاروا بتقطيع دينهم كأنهم قطع شتى يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض قال الله تعالى متوعداً من ارتكب ذلك

كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ

أي كل واحدة من تلك الفرق المتقطعة راجعون الينا لا لغيرنا بالبعث فنجازيهم حينئذ بحسب أعمالهم واذا كان كذلك فكيف يسوغ لكم التنازع والاختلاف والتفرقه بل يجب عليكم التوافق والاتحاد وعدم الاختلاف والعناد خصوصاً فيما يتعلق بمصلحة الملة الواحدة

بالاجتماع على نصرتها بالقلوب المتحدة والآراء المتعاضدة وقالوا في قوله تعالى

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ الآية

انه مساق مساق الذم لأعداء الدين يكون قلوبهم متفرقة لا إلفة بينها وهذه صفة المغلوبين المقهورين المخذولين فهم بخلاف من وصفهم الله تعالى بقوله

وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ

فهذه صفة الغالبين المؤيدين المنصورين وفي ذلك تشجيع للمؤمنين على قتالهم وتجسير لهم وأن اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقال الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو يظفر في الافتراق بمراده قال سهل: أهل الحق مجتمعون أبداً متوافقون . وان تفرقوا بالأبدان وتباينوا بالظواهر وأهل الباطل متفرقون أبداً وان اجتمعوا بالأبدان وتوافقوا بالظواهر لأن الله تعالى يقول

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ «حشر»

أي لايعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فهم بسبب عدم العقل في تيه الضلال هائمون قد تشتتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لان صلاح القلب يؤدي الى صلاح الجسد وفساده الى فساده وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال :

أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ

وصلاح القلب انما يكون بسلامته من عوارض الآفات ومن الامراض الناشئة عن ذميم الصفات كالحقد والحسد والكبر وحب الدنيا الذي هو منشأ جميع المضار ورأس سائر الخطيئات فاذا امتلأ القلب بظلمة تلك الاوصاف الذميمة وانطبعت صورها في مرآته

ذهب الله بنوره وتركه في مرض ظلمته يهيم في مهامه الضلالة والغواية ولا يصبر بسبب انطماس البصيرة منه طرق الحق ومسالك الهداية قال الله تعالى :

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ «حج»

يشير الى ان العقل الحقيقي انما يكون من نتائج صفاء القلب بعد تصفية حواسه عن العمى والصمم فاذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه الادراكات فكما تبصر القلوب بنور اليقين تدرك نسيم الاقبال بمشام السير فالجهال يرون الاشياء بابصار الظاهر وقلوبهم محجوبة عن رؤية حقائق الاشياء التي هي تابعة انوار الذات والصفات اعماهم الله بغشاوة الغفلة وغطاء الشهوة فالعمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر وفي الحديث الشريف

مَامِنْ عَبْدٍ إِلاَّ وَلَهُ أَرْبَعُ أَعْيُنٍ عَيْنَانِ فِي رَأْسِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دُنْيَاهُ وَعَيْنَانِ فِي قَلْبِهِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دِينِهِ وَأَكْثَرُ ٱلنَّاسِ عُمْيَانَ بَصَرِ ٱلْقَلْبِ لَا يُبْصِرُونَ بِهِ أَمْرَ دِينِهِمْ

وقال الله تعالى :

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ «أنفال»

يعني بالصم الذين لايسمعون الحق وبالبكم الذين لاينطقون بالحق فهم الذين لايعقلون الحق فقد عدهم تعالى من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله وهو العقل وقال الله تعالى :

وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ «أعراف»

يعني ينظرون اليك باعينهم وهم لايبصرونك ببصائرهم . أي لايدركون كمالاتك وفضائلك كما أنت عليه فهم غائبون عنك في الحقيقة .

حكي أن السلطان محمود الغازي دخل على الشيخ الرباني ابي الحسن الخرقاني قدس الله سره لزيارته وجلس ساعة ثم قال ياشيخ ماتقول في ابي يزيد البسطامي ؟

فقال الشيخ هو رجل من رآه اهتدى واتصل بسعادة لاتخفى .

فقال السلطان وكيف ذلك وابو جهل رأى رسول الله ﷺ ولم يتصل بالسعادة ولم يتخلص من الشقاوة .

فقال الشيخ في جوابه ان ابا جهل مـــا رأى رسول الله ﷺ رسولاً وانما رأى محمد ابن عبد الله يتيم ابي طالب فلو كان رأى رسول الله ﷺ رسولاً لخرج من الشقاوة ودخل في السعادة ثم قال الشيخ ومصداق ذلك قوله تعالى :

وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

فالنظر بعين الرأس لايوجب هذه السعادة بل النظر بعين السر والقلب يورث ذلك فمن رأى أبا يزيد بهذه العين فاز بالسعادة انتهى .

فالاعمى هو من لاينظر نظر اعتبار والاصم من لايسمع مايتلى عليه من آيات الله سماع تدبر وفي الحديث الشريف

حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ انتهى

واذا تأملت بعين الحق رأيت كل القبايح والمفاسد والشرور ناشئة عن حب الدنيا فهو الذي يحمل صاحبه على ارتكاب انواع المحرمات وعلى ظلم العباد وعلى سلوك جميع طرق الفساد وهو السبب الاقوى في حصول التنازع والتخالف والتدابر والتقاطع والتهاجر الذي هو السبب في ضعف القوة وكسر الشوكة وزوال الصولة .

فيجب على الانسان المبادرة لتدارك امره بتطهير قلبه ومداواته من امراض تلك الاوصاف وسلوك طرق العدل والانصاف .

ومن اقبح الاوصاف الذميمة التي تجب المبادرة الى تطهير القلب منها التكبر فانه سبب الحرمان من ادراك انوار الاسرار وحقائق العرفان كما يشير اليه قوله تعالى

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ «الآية أعراف»

المعنى سأطبع على قلوب الذين يعدّون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزيّة وفضلا فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق ولا يغتنمون بمغانم آثارها اخبر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه حرم المتكبرين من امته فهم معاني القرآن والتدبر فيها كما قيل ابى الله ان يكرم قلوب الظالمين بتمكينهم من فهم حكمة القرآن والاطلاع على عجائبه وهو كقوله تعالى

خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ «الآية البقرة»

والمراد بالختم على القلوب ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب المعاصي واستقباح الطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لايؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق والمراد بالختم على السمع يعني الأذان جعلها بحيث تعاف استماع الحق ولا تصغي الى الخير ولا تعيه ولا تقبله والمراد بالغشاوة المجعولة على ابصارهم احداث حالة تجعل ابصارهم بسبب ضلالهم لاتجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير ابصارهم كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الأبصار وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال

إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ قِيلَ وَمَا جَلاءُهَا؟ قَالَ تِلاوَةُ الْقُرآنِ وَكَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ وَذِكْرُ الْمَوْتِ وَأُمَّهَاتُ الْخَطَايَا ثَلاثَةٌ الْحِرْصُ وَالْحَسَدُ وَالْكِبْرُ انتهى

فالانسان متى طهر قلبه من ذميم الصفات اشرقت فيه انوار المعرفة بالله تعالى واستقر فيه نور اليقين فيرى بعين بصيرته الحق حقاً والباطل باطلاً والفاني فانيا والباقي باقيا فحينئذ يحب لله تعالى ويبغض في الله ويجتنب جميع القبائح ويسارع الى مافيه رضى مولاه وقوة اليقين أصل كل عمل صالح كما ان ضعفه اصل كل قبيح وفي الحديث الشريف .

أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ضَعْفَ ٱلْيَقِينِ

فقوة اليقين رأس مال الدين وقد قال تاج الدين في الحكم لواشرق نور اليقين في قلبك لرأيت الدنيا وقد ظهرت كسفة الفناء عليها ولرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل اليها انتهى»

والقلب محل نور المعرفة بالله تعالى وخزانة اسراره ومشرق انواره فمتى صلح باشراق شمس المعرفة فيه وبحلول سر الهداية في نواحيه ظهر اثر ذلك على الجوارح ونشطت للعبادة وهو معنى قوله عليه السلام صلح الجسد كله والعكس بالعكس وقد قيل واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء واذا سخر الاله اناساً وقيل لسعيد فانهم سعداء

فبصلاح القلب تحصل انواع السعادة وبسهل الحب في الله والاجتماع عليه والافتراق لاجله والاخلاص له في جميع الامور والاعتماد عليه اذا علمت هذا علمت ان الاجتماع والتوافق أمر مطلوب في الشرع والعقل ومنافعه متعددة من حيث أن للنفوس تأثيرات واذا تطابقت النفوس وتوافقت على شيء واحد قوي التأثير وايضا فانها عند التوافق يصير كل واحد منها معيناً للآخر في ذلك المقصود المعين وكثرة الاعوان توجب حصول المقصود :

اما اذا تخالفت تنازعت وتجادلت فضعفت فلا يحصل المقصود وايضا حصول التنازع والتفرقة ضد مصلحة العالم لان ذلك يفضي الى الهرج والمرج والتخاذل فلهذا امر الله تعالى باقامة الدين على وجه لايفضي الى التفرق وقال الله تعالى :

وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ «أنفال»

فنهى الله تعالى المؤمنين عن التنازع والتخالف وبين تعالى ان وقوع ذلك بينهم يستلزم امرين احدهما انه يوجب حصول الفشل والضعف والتراخي والجبن والثاني ذهاب الدولة وزوال الشوكة والقوة والصولة وعن ذلك عبر بالريح شبهت الدولة وقد نفاذها وتمام سطوتها وتمشية امرها بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دانت له الدولة ونفذ امره وقال مجاهد وتذهب ريحكم اي نصرتكم . وقال الله تعالى :

فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ الآية «انفال»

والمراد بذات البين الاحوال التي تقع بين الناس يعني اتقوا الله واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة والاختلاف الموجب لسخط الله تعالى واصلحوا مابينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم كما تصلحون مابينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية . ثم أكد سبحانه وتعالى ذلك بأن امرهم بطاعة الله والرسول بقوله تعالى

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

ثم بالغ في هذا التأكيد فقال تعالى :

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

والمراد أن الايمان الذي دعاكم اليه الرسول ﷺ ورغبتم فيه لايتم حصوله الا بالتزام هاته الطاعة فاحذروا الخروج عنها .

اخرج الامام مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ انه قال :

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ

فقوله عليه السلام ولا تؤمنوا حتى تحابوا معناه لايكمل ايمانكم ولا يصلح حالكم في الايمان الا بالتحاب ولا تدخلون الجنة عند دخول اهلها اذا لم تكونوا كذلك وفي قوله عليه السلام افشوا السلام بينكم حث عظيم على افشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت منهم ومن لم تعرف كما ورد في الحديث الآخر وذلك لان السلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة وفي افشائه تمكن الفة المسلمين بعضهم لبعض واظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من اهل الملل مع مافيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين وفي ذلك لطيفة اخرى وهي ان ذلك يتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين المأمور باصلاحها وأن سلامه لله تعالى لايتبع فيه هواه ولا يخص اصحابه واحبابه لان

المؤمنين كلهم اخوة ولا يجوز لاحد ان يحتقر أخاه المسلم ولا ان يستخف به ويسقطه عن درجته ويعده ممن لا يلتفت اليه بل يراعي فيه وصف الاسلام واخوة الدين كائناً من كان وكيف ماكان وقد قال الله تعالى

يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ الآية «حجرات»

يشير الى أنه لاعبرة بظاهر الخلق فلا تنظر الى احد بنظر الازدراء والاستهانة والاستخفاف والاستحقار لان في استحقار اخيك عجب نفسك مودع كما نظر ابليس بنظر الحقارة الى آدم عليه السلام فاعجبته نفسه فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلعن الى الابد لهذا المعني فمن حقر اخاه المسلم وظن أنه خير منه يكون ابليس وقته واخوه آدم وقته ولهذا قال تعالى عسى ان يكونوا خيراً منهم يعني لاينبغي لمسلم ما ان ينظر لمسلم ما بنظر الحقارة عسى أن يكون خيراً منه ولا يجوز له ان يطعن فيه ولا ان يعيب عليه فان المؤمنين كنفس واحدة والافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس فيكون مايصيب الجميع فمتى احتقر مؤمناً او عابه فكأنما احتقر وعاب نفسه كما يشير اليه قوله تعالى

وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ «حجرات»

وانما قال انفسكم لان المؤمنين كنفس واحدة ان عملوا شراً الى أحد منهم فقد عملوا الى انفسهم وان عملوا خيراً الى أحد فقد عملوا الى أنفسهم كما قال تعالى :

إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا «اسراء»

قال الله تعالى :

وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

يعني ومن لم يتب من مقالة ابليس وفعاله بان ينظر الى نفسه بالعجب والى غيره بالحقارة فاولئك هم الظالمون فيكونون منخرطين في سلك اللعنة والطرد مع ابليس كما قال الله تعالى

أَلاَ لَعْنَةُ ٱللهِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ

وقال الله تعالى :

وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ ٱللهُ خَيْراً ٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَمِنَ ٱلظَالِمِينَ « هود »

واستناد الازدراء الى الأعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية ولا تأمل في معانيهم وكمالاتهم وفي قوله :

إِنِّي إِذاً لَمِنَ ٱلظَّالِمِينَ

تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال :

ٱلْمُسْلِمُ أَخُو ٱلْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ وَلاَ يَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِ ٱلتَّقْوَى هٰهُنَا ٱلتَّقْوَى هٰهُنَا وأشار إلى صدره الشريف

فقوله عليه السلام المسلم اخو المسلم يعني اخوة الاسلام لايظلمه بنقصه حقه او بمنعه اياه ولا يخذله بترك الاعانة والنصرة اذا استعان به في دفع ظالم ونحوه ولا يحقره اي لايحتقره ولا يستكبر عليه واصل التقوى الاجتناب والمراد هنا اجتناب المعاصي وكأن المتقي يتخذله وقاية من عذاب الله بترك المخالفة وقوله ههنا اشارة الي ان الاعمال الظاهرة لاتحصل بها التقوى اذا لم تكن ناشئة من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته فمن كانت التقوى في قلبه فلا ينظر الى أحد بعين الحقارة وفي الحديث الشريف .

بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ

يعني يكفيه من الشر احتقاره اخاه المسلم والعرض موضع المدح والذم من الانسان او هوجانبه الذي يصونه والحاصل انه يجب على المسلم ان يحفظ حرمة اخيه المسلم وان يعامله بما يكون سببا لاستجلاب مودته وائتلافه واتحاده معه فان اتحاد المسلمين وائتلافهم سبب عزتهم ونصرتهم وخيرهم وسعادتهم وانتظام امورهم الدينية والدنيوية وذلك اعظم مقاصد الشرع لما فيه من الاصلاح والنفع .

فيا ايها المسلمون في جميع الاقطار أما آن لكم ان تنظروا بعين التيقظ والانتباه والاعتبار الى ماحام حول هذا الدين المحمدي في سائر الجهات من الاخطار .

اما علمتم مراد من يريد ابادة هاته الملة المحمدية من السعي في تفريق كلمتكم وتشتيت جمعكم والقاء الفتن بالوساوس الوهمية بينكم باذلاً لكم ذلك في صورة النصيحة وتلك دعوى وحق عالم السر والنجوى ليست بصحيحة وانما المراد تفريق جمعكم وتوهين عزمكم وحل حزمكم وايقاع النفرة بينكم حتى اذا تدابرتم وتقاطعتم وتنازعتم وتخالفتم وذهبت ريحكم التي هي النصر وبقيتم عرضة وهدفاً لغيركم من أهل العصر متفرقين جماعات في سائر الجهات سهل على المفترس أكلكم وصار في قبضته وتحت قهره بعضكم وكلكم .

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ «حديد»

وينهضوا بعزم وحزم لتدارك هذا الخلل بصادق القول وصالح العمل .

فالمقصد ياعباد الله واحد وان اختلف الطرق وسحاب الجهل قد حجب شمس المعرفة وسد الافق

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ « صف »

متشبثين باذيال من وصفهم الله تعالى بقوله:

فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

فالدين يأمر بالاجتماع على النصرة وحفظ شعائر الشريعة وان اختلفت الالسنة والطبائع والالوان وكلٌ على سنته وصيانة حرمته في جهته بغير تعدٍ ولا عدوان والرحم الديني احق بوجوب الصلة وكفيل على كل حال بدوام الالفة والالتحام .

قال الله تعالى

وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ «النساء»

اي لاتقطعوا في الدين والنسب اغصانا تتشعب من جرثومة واحدة واتقوا الارحام فصلوها ولاتقطعوها وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان عظيم منه وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم

ٱلرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِٱلْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ ٱللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ ٱللَّهُ

فينبغي للعباد مراعاة الحقوق والقيام بواجبات الصلة لان الكل اخ لاب وام هما آدم وحواء لاسيما المؤمنين لان فيهم قرابة الايمان والدين التي هي آكد اعتبارا في الشرع بوجوب الصلة وكذا الحال في قرابة الطين قال عليه السلام .

مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَ رَحِمَهُ قَطَعَهُ اللهُ

وقال عليه السلام لما خلق الله الرحم قال :

فوعزتي وجلالي لأصلن من وصلك ولاقطعن من قطعك قال عليه السلام فأقرؤا ان شئتم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم « الآية » فهذا نص في وعيد قاطع الرحم

والسبب العقلي في تأكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة والرعاية والنصرة فلولم يحصل شيء من ذلك لكان اشق على القلب وابلغ في الايلام والايحاش والضرر وكلما كان اقوى كان دفعه اوجب فلهذا وجبت رعاية حقوق الاقارب .

ثم ان صلة الرحم وان كانت واجبة بين ذوي القرابة الطينية يعني قرابة النسب الا انها آكد وجوبا بين ذوي القرابة الدينية وهم المؤمنون الذين جعل الشرع قرابتهم المعنوية ازيد اعتبارا واكد في وجوب الصلة والمبرة بينهم من ذوي القرابة الطينية .

قال الله تعالى :

إنما المؤمنون إخوة «حجرات»

المعنى انما المؤمنون منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الباقية الابدية كما ان الاخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية المنقطعة فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبتنى على تشبيه الايمان بالاب في كونه سبب الحياة كالاب

قال الله تعالى

فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون « حجرات »

(واتقوا الله في اخوتكم في الدين بحفظ عهودهم) الفاء للايزان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب

الاصلاح وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولويه لتضاعف الفتنة والفساد فيه .

اي واتقوا الله في اخوتكم في الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم في المشهد والمغيب والحياة والممات فاذا كانت الاخوة كانت الشفقة والرحمة ولا معنى للشفقة والرحمة الا ان تنقذ اخاك من المهالك والمخاوف وتنقله من الجهل الى العلم ومن الذم الى الحمد ومن النقص الى الكمال لان الرحمة عبارة عن التخليص من انواع الآفات وعن ايصال الخيرات الى اصحاب الحاجات ولا يكمل عبد الايمان حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وانما المؤمنون رجل واحد ويد واحدة على من سواهم ومما يدل على ان القرابة الدينية اقوى من قرابة النسب وازيد اعتباراً في الشرع في وجوب الصلة انه اذا انتفت القرابة الدينية ينتفي بانتفائها اعتبار قرابة النسب بحيث لاتعتبر اخوة النسب شرعا اذا خلت عن اخوة الاسلام .

الا ترى انه اذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لأخيه الكافر وهكذا اذ لاتوارث بين أهل ملتين كما في الحديث الشريف وهذا المعنى يستفاد من الآية ايضاً لان انما للحصر فكأنه قيل لااخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بين المؤمن والكافر .

قال بعض العارفين اعلم ان اخوّة النسب انما تثبت اذا كان منشأ النطف صلباً واحداً فكذلك اخوة الدين منشأ نُطفها صلبٌ واحد وهو حلب النبوة وحقيقه نُطفها نور الله تعالى فهم كنفس واحدة كما قال عليه السلام

المُؤْمِنُونَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِذَا اشْتَكَىٰ عُضْوٌ وَاحِدٌ تَدَاعَىٰ الْجَسَدُ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرْ

فمدار الاهلية هو القرابة الدينية وبدونها لاتعتبر قرابة النسب كما علمت مما تقدم وقد قال تعالى لنوح عليه السلام في حق ابنه حيث لم يكن على دينه

يانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الآية « هود »

قال المحققون هذه الآية تدل على أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة النسب فان في هذه الصورة كانت قرابة النسب حاصلة من أقوى الوجوه ولكن لما انتفت قرابة الدين لاجرم نفاه الله تعالى بأبلغ الالفاظ وهو قوله تعالى

إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ

ثم بيّن سبحانه وتعالى ذلك بقوله

إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ « هود »

فالاهلية على نوعين اهلية القرابة وأهلية الملة والدين والمعتبر منها شرعاً اهلية القرابة الدينية ، وهي ازيد كما علمت

وانظر قوله تعالى

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ «مجادله»

كيف يستلزم نفي الايمان عمن يعتبر قرابة النسب مع انتفاء قرابة الدين تعلم من ذلك ان القرابة الدينية هي المعتبرة شرعاً ازيد من قرابة النسب في وجوب الموالاة والمراعاة وحفظ الحقوق التي منها نصر المظلوم واغاثته واعانته لاسيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بحفظ الديانه وصيانة ناموس الشريعة فالمسلمون جميعاً في وجوب القيام بامر ذلك كالرجل الواحد والمراد ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مغلوباً مطروحاً بسبب الدين وقرابة النسب قد يعرض مايمنع الانتفاع بها اما من الكفر او من العداوة الثابتة في الاهل والاولاد الناشئة عن الحسد والتنافس ونحو ذلك بخلاف قرابة الدين المؤسسة على الموالاة في الله والمعاداة لأجله كما في الحديث الشريف

الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ مِنَ الْإِيمَانِ

فان موردها صافٍ دائماً لسلامته من عروض مايكدره وصيانته بمراعاة ماأوجبه الشرع الشريف في حسن المعاشرة والمعاملة عما يُغيره فتلك القرابة المعنوية الروحية هي القرابة الحقيقية والأخوة الصادقة الدينية وعلامة صدقها كما قيل

ان اخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

والجزاء لاشك أنه يكون من جنس العمل وبالتحقق بذلك تحصل النتيجة المطلوبة وتصدق الامنية يتحقق الامل اذا علمت هذا علمت أن لحمة القرابة الدينية بها تكون الحماية والمدافعة والمقاومة والمطالبة وكل امر يُجْتَمَعُ عليه .

فحينئذ يحصل تمام شرف الامة ويعلو قدرها وتقوى شوكتها وتتجدد صولتها كما كان في صدر الاسلام حيث كانت القوة الدينية على مايتعلق بمصالح شرف الامة مجموعة والكلمة نافذة في مشارق الارض ومغاربها مسموعة فبذلك قوي الاسلام وتم ظهوره وعلا نورُه ثم ان الاسلام وان كانت الآن فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة .

الا انه لابد لتمام القوة وحصول النتيجة المطلوبة من رجوع تلك العصبيات كلها الى عصبية واحدة جامعة تستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كانها عصبية واحدة كبرى للقدرة على الوصول الى المطلب الجامع والمقصد العام الذي هو صيانة شرف الشريعة المطهرة وحفظ ناموسها وحقوق اهلها

فمتى اتحدت المقاصد في ذلك كبرت تلك العصبية وقويت وصارت لها القدرة الكاملة والشوكة النافذة في اتمام تلك الصيانة وحفظ حقوق جميع افراد الملة اينما كانوا وكيفما كانوا

ومتى لم يكن امر المسلمين كذلك وسلوكهم في امر دينهم من تلك المسالك وقع الافتراق والتخالف والتنازع فيفضي ذلك الى الفشل وذهاب النصر كما سبقت الاشارة اليه فينال العدو مريد اطفاء نور الاسلام مرغوبه ويتمكن بسبب ذلك من

الايقاع بكل جهة وطائفة على حدتها والعياذ بالله تعالى كما وقع بطوائف الاندلس وغيرها ممن خالف من المسلمين ماأمر الله به واوجبه من الاتحاد والتوافق والاجتماع .

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ« بقرة »

من الاختلاف والتخاذل والنزاع حتى عجزوا عن نصر الدين بل لم تبق لهم قوة على الدفاع .

فيجب على جميع المسلمين امعان النظر والتيقظ لما هم فيه من الغفلة والخطر والمبادرة لتدارك الامر بامتثال ماامرهم به الشرع الشريف من التراحم والتوادد والتناصر وحفظ الحقوق الاسلامية ونصر الملة المحمدية فانهم في ذلك كرجل واحد كما قال ﷺ المؤمنون كرجل واحد وحفظ هذا الدين الذي هو الامر المطلوب متوقف على اتحاد القلوب ولايصلح آخر هاته الامة الا ماأصلح اولها وقد قال ﷺ

الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لايَظْلِمُهُ وَلا يسلِّمُه

اي لايتركه مع من يؤذيه بل يحميه من عدوه وفي رواية اخرى عنه عليه السلام

الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَيَظْلِمُهُ ولا يسلمه في مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ

ثم ان اختيار الصحبة والاخوة عمل وكل عمل يحتاج الى النية والى حسن الخاتمة وقد قال عليه السلام في الخبر الطويل

سَبْعَةٌ يَظِلُّهُمْ الله بِظِلِهِ يَوْمَ لاظلَّ إلا ظِلُّه فمنهم إثنَانْ تَحابا في الله فَعَاشا على ذٰلكَ وَمَاتا عَلَيه

اشارة الى ان الاخوة والصحبة من شرطها حسن الخاتمة حتى يكتب لها ثواب المواخاة ومتى أفسد المواخاة بتضييع الحقوق فيها فسد العمل من الاول .

قيل ما حسد الشيطان متعاونين على بر حسده متواخيين في الله تعالى متحابين فيه فانه يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد مابينهما والمواخاة في الله اصفى من الماء الزلال وما كان لله فالله مطالب بالصفاء فيه وكل ماصفا دام والاصل في دوام صفائه عدم المخالفة .

وقد قالوا في قوله تعالى

فَآتِ ذَا القُرْبىٰ حَقَّهُ الآية «روم»

انه يشير الى ان القرابة على قسمين قرابة النسب وقرابة الدين فقرابة الدين امس وبالمراعاة احق وهم الاخوان في الله والاولاد من صلب الدين والنبوة .

قال تعالى :

يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءكم وَإِخْوانكمْ أَوْلِياء إِن اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلىٰ الإِيمانِ الآية « توبة »

وقال الله تعالى :

قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكمْ وَأَبْناؤُكمْ وإِخْوانكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتكُمْ وأَموالٌ إِقتَرَفتُمُوهَا وَتِجارَةٌ تَخشَوْنَ كَسَادَها وَمَسَاكِنُ تَرْضَونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتىٰ يَأْتِيَ اللهُ بِأَمرِهِ « توبه»

فهذا وعيد كبير لمن آثر حظوظ نفسه على مصلحة دينه .

وقال الله تعالى

إِنَما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الآية «مائدة»

المراد ان الله تعالى امر المسلم ان لايتخذ الحبيب والناصر الا من المسلمين فالولاية هنا بمعنى المحبة والنصرة على ماحرره أهل التحقيق فالمعنى انه يجب عليكم ان تختصوا اخوانكم من أهل الايمان بالموالاة والمحبة والنصرة ولا تخطئوهم الى الغير فان موالاة الله في معاداة ماسوى الله

كما قال الخليل عليه السلام

فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ

وقال الخليل عليه السلام ايضاً فيما حكى الله عنه

وَاعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَادْعُوا رَبِّي الآية «مريم»

واعلم ان موالاة المؤمنين في مواخاتهم على القيام بنصرة الدين وحفظ شعائره وحقوق اهل ملته وقد قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال عليه السلام

لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ يعني في الدين

وقال الله تعالى

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ «توبة»

أي بعضهم على دين بعض في الحق اي متفقون في التوحيد وبعضهم معين بعض في أمر دينهم ودنياهم يعني هذا شأنهم وهذه صفاتهم فمن لم يكن كذلك فمن نقصان دينه والسعيد من فاز بكمال الدين وبتمام اليقين

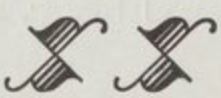

الباب الثاني

في تقرير اثم من قطع ماأمر الله بوصله ، ووجوب الحاق كل فرع باصله قال الله تعالى

وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ الَّذِينَ يُنقضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ «بقرة»

المعنى ينقضون عهد الله اي يخالفون ويتركون امر الله وعَهد الله الى خلقه ثلاثة عهود : العهد الاول الذي اخذه على جميع ذُرّية آدم عليه السلام بان يقرّوا بربوبيته تعالى ولا يشركوا به شيئاً وهو قوله تعالى

وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ الآية «اعراف»

والعهد الثاني ماأخـــذه على الانبياء بان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين و لايتفرقوا فيه وهو قوله تعـــالى

وَإِذ أَخَذنَا مِنَ النَبِيينَ مِيثَاقَهم «الآية»

والعهد الثالث ماأخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه وهو قوله تعالى

وَإِذ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ الآية «عمران»

وقوله تعالى

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

يشمل كل قطيعة لايرضى بها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم وقطع موالاة المؤمنين وترك الجماعة المفروضة وسائر حقوق القرابات التي أمر الله بوصلها وهو كقوله تعالى .

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ «الآية ـ محمد»

قال بعضهم وفيه اشارة الى انهم قطعوا مابينهم وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من القرابة والله تعالى أمرهم ان يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين وهو المراد بقوله تعالى ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ففيه نهى عن التنازع والتخالف والتقاطع والتهاجر وقوله تعالى

وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ

المراد منه الصدُّ عن طاعة الرسول وقطع الوصلة التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه وذلك لان تمام الصلاح في الارض بالطاعه لان بالتزام الشرائع يلتزم الانسان كل ما ألزمه ويترك التعدي الى الغير ومنه زوال التظالم وفي زواله العدل الذي قامت به السموات والارض قال الله تعالى فيما حكى عن فرعون

إِنِّي اَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَو أَنْ يُظْهِرَ فِي الارضِ الفَسَاد «مؤمن»

وقوله تعالى

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدوا فِي الأَرضِ وتُقَطِّعُوا أَرحَامَكُم الآية

اي يُتَوَقع منكم الفساد بامن في قلوبهم مرض ان توليتم امور النـاس وتأمّرتم

عليهم بأن صرتم ولاة وحكاما عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم يعني قراباتكم الدينية تحارصاً على الملك وتهالكاً على الدنيا وقرأ علي رضي الله تعالى عنه

إِن تُوَلَّيتُم بضم التاء والواو وكسر اللام يعني وُلّيَ عليكم الظلمة لِمتم معهم وعاونتموهم في الفتنة والفساد والمراد ان تفسدوا في الارض بعدم معونة اهل الاسلام على اعدائهم وتقطعوا ارحامكم بسبب ذلك فلا ترقبون في مؤمن إلاً ولا ذِمّة مع أن الله تعالى امركم بصلة الارحام التي هي من آكد واجبات الاسلام والرحم الدينى احق بوجوب الصلة والمراعاة كما علمت مما سبق فبقدر تقوية تلك اللحمة الدينية والاجتماع عليها يعلو قدر الملة وتنفذ الشوكة وتتجدد الصولة وعلى قدر ذلك يكون شرف افراد الملة وصلاح احوالهم الدنيوية والاخروية

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام

هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ الآية

دلت هذه الآية على أن القوم كانوا قبل دخولهم في الاسلام ومتابعة الرسول عليه السلام في الخصومة الدائمة والمحاربة الشديدة يقتل بعضهم بعضاً ويُغير بعضهم على بعض ويلعن بعضهم بعضاً ، فلما آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر زالت الخصومات وارتفعت الخشونات وحصلت المودة التامة والمحبة الشديدة .

واعلم ان التحقيق في هذا الباب ان المحبه لاتحصل الاعند تصور حصول خير وكمال فالمحبة حالة معللة بهذا التصور المخصوص فمتى كان هذا التصور حاصلا كانت المحبة حاصلة ومتى حصل تصوير الشر والبغضاء كانت النفرة حاصلة .

ثم ان الخيرات والكمالات على قسمين احدهما الخيرات والكمالات الباقية الدائمة المبرأة عن جهات التغيير والتبديل وذلك هو الكمالات الروحانية والسعادات الآلهية الابديه والثاني هو الكمالات المتبدلة المتغيرة وهي الكمالات الجسمانية والسعادات البدنية فانها سريع التبدل والتغير كالزئبق ينتقل من حال الى حال في أقرب وقت .

فالانسان يتصوّر ان له في صحبة زيد مالاً عظيما فيحبه ثم يخطر بباله ان ذلك المال لايحصل فيبغضه ولذلك قيل أن العاشق والمعشوق ربما حصلت الرغبة والنفرة بينهما في اليوم الواحد مراراً لأن المعشوق انما يريد العاشق لماله والعاشق انما يريد المعشوق لأجل اللذة الجسمانية وهـذان الامران مستعدان للتغير والانتقال فلاجرم كانت المحبة الحاصلة بينهما والعداوة الحاصلة بينهما غير باقيتين بل كانتا سريعتي الزوال والانتقال .

اذا عرفت هذا فنقول الموجب للمحبة والمودة ان كان طلب الخيرات الدنيوية والسعادات الجسمانية كانت تلك المحبة سريعة الزوال والانتقال لأجل ان المحبة تابعة لتصوّر الكمال وتصور الكمال تابع لحصول ذلك الكمال فاذا كان ذلك الكمال سريع الزوال والانتقال كانت معلولاته سريعة التبدل والزوال .

واما ان كان الموجب للمحبّة تصور الكمالات الباقية المقدسة عن التغير والزوال كانت تلك المحبة ايضاً باقية آمنة من التغير الى يوم القيمة بل كأنها تصير اقوى واصفى واكمل وافضل مما في الدنيا لان حال المعلول في البقاء والتبدل تبع لحالة العلة وهذا هو المراد .

من قوله تعالى

أَلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ «زخرف»

اذا عرفت هذا فنقول ان العرب كانوا قبل مقدم الرسول عليه السلام طالبين المال والجاه والمفاخرة وكانت محبتهم معللة بهاته العلة فلاجرم كانت تلك المحبة سريعة الزوال وكانوا بادنى سبب يقعون في الحروب والفتن .

فلما جاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة زالت الخصومات والخشونات عنهم وصاروا اخوانا متوافقين على قلب رجل واحد لاتحاد المقاصد حينئذ فيا يقرب الى الله تعالى وفي القيام بحقوق الشريعة المطهرة وتنفيذ اوامرها وصيانة حقوق اهلها اينما كانوا وكيفما كانوا وذلك هو الموجب للرضوان الاكبر والفوز بانواع النعيم العاجل والآجل واصلاح الاحوال في الحال والمال.

فيجب على جميع من جاء بعدهم من المسلمين ان يسلكوا مسالك اولئك الهداة المهتدين فانهم ائمة الاقتداء ونجم الاهتداء كما وصفهم بذلك سيد المرسلين المبعوث لجميع العوالم على اختلاف الاجناس كما قال الله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ «سبأ»

والمراد بالاعراض عن الدنيا عدم تعلق القلب بها تعلقا يوجب الاعراض عن الله تعالى وعن القيام بعبادته التي لاجلها خلق الانسان وليس المراد بالاعراض عنها عدم السعي في اكتسابها بالكلية فانها مطية الآخرة كما ورد في الحديث الشريف

نِعْمَةُ الدُّنْيَا مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنُ يُصْلِحُ بِهَا مَا فَاتَ وَيُدْرِكُ بِهَا مَا هُوَ آتٍ

وانما المذموم ان يقبل الانسان على محبتها حتى يؤديه ذلك الى الافتتان بها واكتسابها من حلها ومن غير حلها والى صرفها في غير مايرضي الله تعالى بسبب ذلك معرضا عن الله وعبداً لدنياه واسيراً لهواه ومعلوم ان من أحب شيئاً كان له عبداً والله تعالى لايرضى أن تكون لغيره عبداً وفي الحديث الشريف

تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ

الحديث والحاصل ان المذموم منها ماأشغل عن الله وقد بعث النبي ﷺ الى جميع اصناف الخلق وفيهم التاجر والمحترف والتارك لهما فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا أمر المحترف بترك حرفته بل دعى الكل الى الله

قال الله تعالى على جهة المدح

رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ «نور»

ولم يقل لايتجرون وقال ﷺ

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلعَبْدَ ٱلمُحْتَرِفَ وَيُبْغِضُ ٱلعَبْدَ ٱلبَطَّالَ

يعنى الذي لاحرفة له يتعيش منها ويصون بها عرضه وعرض عياله وينفق منها في وجوه البر والطاعات مايدرك به من ثواب الله تعالى وفضله منتهى آماله فالعاقل يسعى في اكتساب الدنيا من حلها لا لمجرد الحرص والمحبة في جمعها بل بقصد أن تكون له مطية للآخرة بعموم نفعها مع صيانة العرض وتوفية الحقوق وحفظ ماء الوجه عن الاحتياج والتملق للمخلوق

وهكذا شأن العارفين بحقائق الاحوال ولقد أحسن من قال

ولو أن مااسعى لادنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثل ... وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

فاكتساب الدنيا من وجوه حلها وصرفها في الامور التي ارشدنا الشرع الشريف لمحلها وصف محمود وحبل لأبواب فضل الله موصول بالسعادة محدود وبذلك يسلم الانسان من مضارها واخطارها ويسهل سيره في طريق الوصول لمعرفة الله تعالى مستضيئاً باشراق انوارها وهكذا كان حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم في اكتساب الدنيا وصرفها فقد كانوا يتعاطون الاسباب الدنيوية على وجه المشروع وكانوا في اكتسابها خزاناً لله يتصرفون فيما أنعم الله عليهم به منها تصرف الخازن الامين يواسي بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا لايمنعون احدا من اخوانهم معروفهم كما هو شأن الاخوة الصادقة الدينية وقد امتن الله تعالى عليهم بذلك في قوله تعالى

وَٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا « عمران »

فبطريق الصحبة والاخوة يقع التعاضد والتعاون وتتقوى جنود القلب وتستروح الارواح بالتشام وتتفق في التوجه الى الرفيق الاعلى ويصير مثالها في الشاهد كالاصوات اذا اجتمعت خرقت الاجرام واذا تفرقت قصرت عن بلوغ المرام

وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال

أَلْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ قَلِيلٌ بِنَفْسِهِ

وقال الله تعالى مخبراً عمن لاصديق له

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ «شعراء»

والحميم في الاصل المميم الا انه ابدلت الهاء بالحاء لقرب مخرجها اذ هما من حروف الحلق والمميم مأخوذ من الاهتمام اي يهتم بامر اخيه فالاهتمام بهم الصديق حقيقة الصداقة

وقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه اذا رأى احدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام

قال يادواود مالي أراك منتبذاً وحدك

قال الهي قليتُ يعني ابغضت الخلق من اجلك

فأوحى الله تعالى اليه يادواود كن يقظانا مرتاداً لنفسك اخوانا وكل خدن لايوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي الخبر ان احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون وقال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لو أن رجلا صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يحب في الله ولم يبغض فيه مانفعه ذلك

وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال

يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ

وقال ﷺ

ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ! قالوا وما هو؟ قال : إصلاح ذات البين وإياكم والبغضة فإنها هي الحالقة

وقال تعالى

وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة «البلد»

وقال الله تعالى

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

فقوله تعالى وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله تعالى وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله والى التكميل بعد الكمال وقد قالوا في قوله تعالى

وكان حقاً علينا نصر المؤمنين «الروم»

انه يشعر بوجوب نصرة المؤمنين والانتقام لهم واظهار كرامتهم حيث جعلوا مستحقين على الله ان ينصرهم وفي الحديث الشريف

ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم

ثم تلا قوله تعالى وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (انتهى)

ثم اعلم ان التودد والتآلف والموافقة مع الاخوان من المؤمنين من ائتلاف الارواح

التي منشأ نطفها صلب النبوة وحقيقة نطفها نور الله تعالى كما تقدمت الاشارة اليه وفي الحديث الشريف

أَلْمُؤْمِنُ آلَفٌ مَأْلُوفٌ وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَيَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ

ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم

تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ ٱلْجَسَدِ إِذَا ٱشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِٱلسَّهَرِ وَٱلْحُمَّى

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم

أَلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَٱلْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

وفي الحديث الشريف عنه عليه السلام انه قال

مَثَلُ ٱلْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا ٱلْتَقَيَا مَثَلُ ٱلْيَدَيْنِ تَغْسِلُ أَحَدِهِمَا ٱلأُخْرَى وَمَا ٱلْتَقَى ٱلْمُؤْمِنَانِ إِلاَّ ٱسْتَفَادَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا

يعني أن هذا شأن المؤمنين وهاته صفاتهم فمن لم يكن كذلك فهو ناقص الايمان .

وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ رضي الله عنه اني احبك في الله فقال له معاذ رضي الله عنه ابشر ثم ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول

تَنْصَبُ لِطَائِفَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ كَرَاسِيَ حَوْلَ ٱلْعَرْشِ يَوْمَ ٱلْقِيَمَةِ وُجُوهُهُمْ كَٱلْقَمَرِ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ يَفْزَعُ ٱلنَّاسَ وَهُمْ لاَ يَفْزَعُونَ وَيَخَافُ ٱلنَّاسُ وَهُمْ لاَ يَخَافُونَ وَهُمُ ٱلأَوْلِيَاءُ ٱلَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ فقيل من هؤلاء يارسول الله ؟ قال : أَلْمُتَحَابُّونَ فِي ٱللهِ

وفي الحديث الشريف عنه ﷺ أنه قال :

ثَلاَثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ

قيل لو تحابّ الناس وتعاطوا المحبة لاستغنوا بها عن العدالة فان العدالة خليفة المحبة تستعمل حيث لانوجد المحبة وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج ولهذا المعنى كانت المحبة في الله مؤثرة من البعض في البعض لانهم لما تحابوا في الله تواصوا بمحاسن الاخلاق ووقع القبول لوجود المحبة فانتفع لذلك الاخ بالأخ .

واذا تأملت بعين الاعتبار رأيت أركان الشرع كلها مبنية على هذا الاس الفريد ودائرة على هذا المقصدالوحيد فلاجل هذا المعنى امر الله تعالى باجتماع الناس في كل يوم خمس مرات في المساجد من أهل كل درب وكل محلة وفي الجامع في الاسبوع مرة من أهل كل بلد وانضمام اهل السواد الى البلدان في الاعياد في جميع السنة مرتين وانضمام واجتماع اهل الاقطار من سائر البلدان في العمر مرة للحج فيجمعهم موقف واحد وهو عرفات كل ذلك لحكم بالغة منها تأكيد الالفة والمودة بين المؤمنين وانتفاع بعضهم من بعض واجتماع قلوبهم على المقصد الواحد الذي هو حفظ شعائر الدين والتعاون والتناصر على ذلك بكل ممكن لان هذا الامر هو نتيجة المحبة والاخوة الدينية التي ينتفع بها في الدنيا والآخرة ومالم يكن كذلك كان وبالاً على صاحبه والى ذلك الاشارة .

بقوله تعالى

الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ

يعني أن المتحابين في الدنيا على الامور الدنيوية بعضهم لبعض عدو يوم القيامة لانقطاع مابينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسباباً للعقوبات وانواع العذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت لله وفي الله تبقى على حالها بل تزداد لمشاهدة كل منهم آثار الخلة ونتائج تلك المحبة من الثواب ورفع الدرجات زيادة على ماحصل لهم في الدنيا بسبب ذلك من صلاح الاحوال ونيل الآمال فكل خلة وصداقة تكون في الدنيا مبنية على الهوى والطبيعة الانسانية تكون في الآخرة عداوة يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً .

والاخلاء في الله خلتهم باقية الى الابد وينتفع بعضهم من بعض في الدنيا ويشفع بعضهم في بعض ويتكلم بعضهم في شأن بعض وهم المتقون الذين استثناهم الله تعالى بقوله الا المتقون.

وشرائط الخلة في الله

أن يكون أصل المحبة لله طلباً لمرضاته وامتثالا لما امر به وما يعرض بينهم من المصالح والاحوال والاصلاح لايضر حيث كان عارضا تبعاً بل هو من مقتضيات صدق تلك المحبة ونتائجها ودليل صدق ذلك التعاون والتناصر والتعاضد على ماامر الله به كما سبق تقريره

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما احبَّ لله وابغض لله ووال لله وعاد لله فانه انما ينال ماعند الله بهذا ولن ينفع احداً كثرة صومه وصلاته وحجه حتى يكون هكذا وقد صار الناس اليوم يحبون ويبغضون الدنيا ولن ينفع ذلك اهله ثم قرأ الآية

الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ

قال بعضهم الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس امارة بالسوء والاخ لايأمرك الا بخير والمواخاة في الله امر مسنون من لدن النبي ﷺ فقد ثبت ان النبي ﷺ آخى بين اصحابه وقال

كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا

وكانت تلك المواخاة مرتين الاولى بين المهاجرين بعضهم وبعض بمكة قبل الهجرة على الحق والمواساة ثم لما قدم المدينة مهاجراً آخى بين المهاجرين والانصار على مثل ذلك اظهارا

لما يقتضيه الاتحاد في الدين حتى يكونوا يتوارثون فكان المهاجري يرث الانصاري والانصاري يرث المهاجري تعريفا لهم بقدر تلك الاخوة وبأن العبرة في القرب هو الاصل الحقيقي الذي هو القرابة الروحية والاجتماع على الله وبالله ثم نسخ ذلك بعد وقعة بدر ابقاء ومحافظة على النسل ورفقاً بمن يأتي بعدهم ممن لم يبلغ مرتبتهم في قوة الايمان و كشف الحجب لما تقتضيه الطبائع البشرية من الميل الطبيعي لقرابة الصلب كما قال تعالى

وَأُولُوا ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ «الآية أنفال»

ولذلك لما كان الانبياء عليهم السلام اكمل الخلق في معرفة الله تعالى وكانت مقاماتهم الرفيعة منزهة عن التعلق بغير الله تعالى ومحفوظة من الالتفات لما سوى الله تعالى بمقتضى العصمة لم يكن من الجائز وجود شيء من العلاقات الدنيوية بهم بل التعلق بهم انما هو من جهة الله وما يوصل الى معرفته والقرب منه تعالى فتساوى في الاتصال بهم في ذلك قرابة النسب وغيرها ولاتمام اظهار ذلك للعيان لم يكونوا يورثون في شيء من متاع الدنيا كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم

نَحْنُ مَعَاشِرُ ٱلأَنْبِيَاءِ لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ

المعنى لانورث من جهة الدنيا بالانساب وانما نورث من جهة العلم بالاكتساب ماتركنا من متاع الدنيا صدقة فالانبياء عليهم السلام لم يورثوا ديناراً ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه اخذ بحظ وافر

نعم تعظيم قرابته ﷺ من النسب وهم آل بيته الشريف الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا واجب شرعا

قال تعالى :

قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ «شورى»

فهو من اصول الدين وكمال الايمان متوقف عليه فمحبتهم رضي الله تعالى عنهم وتعظيمهم واكرامهم لقربهم منه ﷺ وصلتهم هي في الحقيقة صلة الرحم الديني فليست قرابته ﷺ من النسب كقرابة غيره لان شرف كل شريف بحسب القرب منه والاتصال به ﷺ كما تقرر في محله

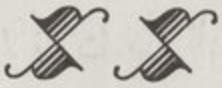

النتيجة وهي الخاتمة

في بيان المقصود من تلك القواعد وما يترتب على الاجتماع والاتحاد من المنافع وعلى ضد ذلك من المفاسد وبيان موضع الاجتماع لتمام القوة والانتفاع .

اذا علمت هذا الذي قررناه وفهمت اشاراته واصول مبناه علمت ان الدعوة الدينية لاتتم من غير عصبية من اهل الدين والمراد بالدعوة الدينية الدعوة الى الاجتماع على نصر الدين ومدافعة من يريد اطفاء نوره ومحو رسوم شعائره والاستيلاء على ممالك اهله وتغيير شريعتهم وتبديل طريقتهم وازالة ملكهم وعزتهم وكسر شوكتهم وابادة صولتهم واستعبادهم بجملتهم

فهذه هي الدعوة الدينية التي لاتتم الا باتفاق جميع افراد الملة في جميع الاقطار واتحاد قلوبهم ومقاصدهم على نصرة ملتهم وصيانة شريعتهم وسلامتها من الاخطار وهذا الاتفاق الخاص هو المراد بالعصبية وذلك لان الملك والدولة والمراد منه ههنا استبداد اهل الاسلام بامورهم وتمكنهم من اقامة شعائر شريعتهم والتصرف في ممالكهم بدون تسلط عدوهم عليهم وقهره لهم .

انما يحصل ذلك الملك والدولة لهم بالمعنى المتقدم بمقاومة عدو دينهم والتغلب عليه اينما كان المتصدي لازالة ملكهم كيفما كان وذلك التغلب انما يحصل لهم بالعصبية بالمعنى المتقدم ولا تتحقق تلك العصبية الا باتفاق الآراء واتحاد الاهواء على المدافعة والمقاومة والمطالبة وجمع القلوب وتأليفها وسر ذلك ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس والتنازع والتنافر وفشا الخلاف .

واذا انصرفت الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت مقاصدها وانفردت وجهتها فذهب التنافس والتنازع وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة وتمت الصولة لجميع افراد الملة ولجميع ملوكها وولاة امورها وصلحت احوال سائر ممالكها فالصبغة الدينية هي التي تذهب بالتنافس والتحاسد والتنافر وتفرد الوجهة الى الحق

فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساوعندهم وهم مستميتون عليه واعداؤهم وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم بتفرق اهوائهم حصل

قال الله تعالى :

وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ « مائدة »

فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم واعتبر بما وقع للعرب في صدر الاسلام في الفتوحات مع قلة جيوشهم وتكاثر جيوش اعدائهم فقد كانت جيوش المسلمين في القادسية واليرموك لاتزيد على بضع وثلاثين الفا في كل معسكر وجيوش اعدائهم اذ ذاك خمسمائة الف وعشرون الفا ومع ذلك لما كانت قلوبهم مجتمعة على الحق ومقاصدهم متحدة في الصدق ابادوا تلك الجموع وملكوا الجميع والمجموع الى غير ذلك من الوقائع التي لايمكن حصرها وهي مبسوطة في محلها من علم التاريخ

واذا كانت عصبية النسب التي اصل قرابتها واخوتها صلب النبوة الفاني توجب الغيرة والمسارعة للنصرة فان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه او الاعداء عليه ويود لو يحول بينه وبين مايصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا فتجد القريب يسارع لنصرة قريبه وانقاذه فراراً من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه .

ومن هذا الباب الولاء والحلف اذ غيرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للانفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء والحلف مثل لحمة النسب او قريبا منها .

فكيف ينبغي ان تكون العصبية الدينية التي اصل قرابتها وأخوتها صلب النبوة الباقي فيجب ان تكون الغيرة عليها اكبر والحمية فيها أقوى وأكثر كيف والمسلمون اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم والحمد لله من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق والصفات بمقتضى نور الايمان المودع في قلوبهم فهم بنور الله ينظرون واذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون .

ومن المعلوم ضرورة ان المسلمين اذا لم يجمعوا أمرهم بينهم في ذلك وخالفوا ما أمر الله تعالى بسلوكه في ذلك من المسالك وقعوا هاوية المذلة والهوان والعياذ بالله تعالى واضطروا الى الانقياد لاعداء دينهم فصاروا في قبضة اسرهم وتحت قهرهم اذ من المعلوم ان الانقياد والمذلة كاسران لسورة العصبية وشدتها فان الانقياد والمذلة دليل على فقدانها فمتى رغموا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى ان يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة.

فبقاء الدولة واعادة الصولة للملة انما يكون بالعصبية الدينية واجتماع القلوب واتحاد المقاصد

وهذا الأمر صار بعيداً عن افهام الجمهور وصاروا متناسين له لانهم نسوا عهد تمهيد دولة الاسلام منذ أولها وطال امد مرباهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلاً بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة الاسلامية في تأسيس أمرها وانما يدركون اصحاب الدولة التي هم فيها قد استحكمت صبغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن تلك العصبية في تمهيد أمرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من أوله وما لقي أولهم من المتاعب دونه .

واعتبر بأهل الأندلس وبمن هو أقرب عهداً منهم كالممالك الاسلاميه بآسيا وغيرها كيف حال حالهم وآل أمرهم بسبب نسيان هذه العصبية وأثرها لطول الأمد واستغنائهم عن قوتها حتى انمحت رسومهم وصاروا تحت القهر وفي قبضة الاسر وعز عليهم الخلاص ولات حين مناص .

ومتى اتحـــدت المقاصد واجتمعت القلوب حصلت السلامة والنصرة لعلمه وتم الامر وكمل المطلوب .

فيا عباد الله هـــذه آيات الله عليكم تتلى وأحاديث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لاينطق عن الهوى تقرأ عليكم ونملا)

فهل أنتم مستمعون وإلا فَإِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون = وَلاَ تَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُون . وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُون .

بل كونوا من الذين مدحهم الله تعالى بقوله وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون . وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُون .

فلمثلهم يقول الله تعالى يَاعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ « زخرف »

فتأملوا وفقكم الله تعالى في هذه الاقوال المهداة لكم على وجه النصيحة ، المؤيدة بالآيات البينات والاحاديث الصحيحة ، واعلموا ان الله يعلم مافي انفسكم فاحذروه ، وما تفعلوا من خير فلن تكفروه .

هذا وقد تقدم فيما قررناه ومهدناه ان الاسلام وان كانت الآن فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة الا انه لابد لتمام القوة والشوكة الاسلامية وحصول النتيجة المطلوبة التي هي صيانة الشريعة الشريفة واعادة الصولة لجميع أفراد الملة المحمدية من رجوع تلك العصبيات كلها الى عصبية واحدة جامعة تستتبعها وتلتحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى للقدرة على الوصول الى المقصد العام من المدافعة والمقاومة والمطالبة كما سبق ايضاحه .

كلمة للأئمة المحمدية

بمناسبة طبع هذا الكتاب

اخواني المؤمنين

أرجو أن تفتحوا قلوبكم لما أقوله لكم من الكلام المدلل عليه بجملة من الآيات والاحاديث والبراهين .

لاريب أن الله جل جلاله يطلع على كل مافي القلب من أفكار وما يتفرع عنها من الوساوس ولذا فلابد للمؤمن من أن يكون متيقظاً لافكار رأسه وما يوسوس اليه قلبه فلا ينحدر في مهاوي الضلال ولا يستدبر سبيل الهداية والرشاد .

« إن الله تعالى لابد أن يحاسب العبد على كل ما كان قد فعله من خير او شر » :

« ليكن هدفنا في كل مانقدم عليه من الاعمال التقرب الى ذات الله تعالى ونيل رضوانه »

« إننا سنلاقي بدون شك جزاء مانقوم به من اعمال عاجلاً في الدنيا أو آجلا يوم القيمة »

إن من الواضح أن العالم الاسلامي يتقطع اليوم فرقا واشتاتاً ودويلات ضعيفة صغيرة كما لو كان أسرة تشتتت أفرادها في أودية الفرقة والبؤس ، ولئن كان ثمة مايجمعه فهو ليس إلاحزام النفاق والعداوة الشائعة فيما بينه ، فكيف يتسني ان ينسجم هذا العالم بشكله هذا مع دين التوحيد ؟.

ياأيها المسلمون : تيقظوا . لنتحد ثانية بل لنلتحم كما كنا قبل أن تذهب البقية الباقية من كبرائنا ، ويضيع القدر الباقي من قوانا ، وتذهب الفرصة السانحة من ايدينا .

ان عقيدة المسلمين وماتمليه عليهم الحقائق الدينية التي يؤمنون بها ـ يدعوان المسلمين اليوم الى أن يتحدوا ويتفقوا فيمابينهم ، فيما يستطيعون ان يحققوا ماينشدونه من استقلال وسعادة اقتصادية وتبادل في المعونة والمنافع .

لقد استطاعت دولتان في هذا العصر ـ هما أكبر دولتي هذا العالم ـ الولايات المتحدة ، والجمهوريات السوفياتية أن يؤلف كل منهما من أشتات وفرق دول صغيرة عالماً كبيراً متماسكاً قوياً ينبع منه كافة مقومات الحياة الدنيوية من استقلال واقتصاد ونعيم . مع ما يشيع في كل من هاتين الدولتين من مظاهر الانحطاط الخلقي الانساني والتخلف نحو الهمجية القديمة وما يشيع فيها من مظاهر العداء والتهديد الذي يتناول العالم كله بنذر السحق والافناء .

أفنعجز نحن المسلمين عن تحقيق وحدة مماثلة فيما بيننا مع ما اكرمنا الله به من مقومات هذه الوحدة من عقيدة وقانون إلهي جامع وفضيلة تؤلف القلوب وخلق يجمع الأشتات ؟..

يا أيها المسلمون لله المؤمنون بعقيدة التوحيد : ان وحدتكم التي أدعوكم الى تحقيقها ستنقذ هذا العالم الذي يقف اليوم على شفير الهاوية . ان اتصافكم بالاستقامة والعلم والمحبة والاحترام ، وغيرتكم على الحق والاخلاص والتعاون ـ سيحققان للعالم بأسره ما يتطلع اليه من سعادة حقيقية تنقذه من شرور هذه المدنية الحديثة .

إن من الضروري جداً أن يستعيد أهل هذه الحقيقة . . حقيقة التوحيد الاسلامي شوكتهم المفقودة وعزهم الضائع . ذلك أن البشرية التي ترزح تحت وطأة المادية الخانقة تئن في انتظارها عروة وحدة المسلمين وقوتهم .

إننا نستطيع أن نفخر بأنه لايزال فينا نحن المسلمين بقية من كبار المفكرين والمجاهدين والعلماء الذين بامكانهم أن ينبهوا المسلمين الى ذاتهم وحقيقتهم ، فلنعترف الى ذاتنا التي انكرناها حقبة طويلة من الدهر ..

وان هؤلاء المفكرين والعلماء الذين يعيشون اليوم بيننا وهم يحملون مشاعل تنير للمسلمين سبيل الوحدة بواسطة انتباههم للعصر الذي يعيشون فيه انما يستطيعون ان يثبتوا أنهم أحفاد لاجدادهم الذين حققوا من قبلهم هذه الوحدة اذا ساروا في سبيلهم وجاهدوا جهادهم ، ولا شك أن في علماء الباكستان والهند من قاموا بتحقيق هذه الرسالة بفطرة سليمة . وتدقيق علمي وتعشق لاقتناص الحقائق .

ولا ريب أن في جميع الدول الاسلامية والعربية كمصر والشام والعراق من كبار العلماء من ينتظر دوره للقيام بتحقيق هذا الهدف العظيم .

فلنعد الآن الى مانحن فيه .

يجب على المسلمين كلهم أينما كانوا أن يأتلفوا ويتحدوا ويتوافدوا في سبيل تحقيق ما أوجبه الله عليهم من الائتلاف والاتحاد وتحقيق أسباب التعاون فيما بينهم . وليس أدعى لتحقيق هذه الغاية ونضجها لدى المسلمين من اجتماعهم على التفقه في دينهم والعمل على التزام ماتركه النبي ﷺ لهم من سنة وآداب .

ولعل من أهم الوسائل لتحقيق هذا الأمر أن يهتم أهل كل حي من الاحياء على التقائهم في مساجدهم في أوقات معينة من كل يوم ليتدارسوا فيما بينهم أي أثر نافع من آثار اسلافهم وليتواصوا فيما بينهم أن يقوم كل منهم بواجب نحو نفسه واخوانه المؤمنين في اطـــار من الالفة والاخلاص .

ولا شك أن من اهم الواجبات وآكدها ، بل آكدها وأهمها ، تحقيق أمر الشورى فيما بينهم . وليست مشروعية كل من الجمعة والحج والجماعه وما شابهها الا اعلانا عن مدى أهمية الشورى في حياة المسلمين .

وان جميع ماينبع به هذا العصر من علوم ومخترعات مختلفة من شأنه أن يسهل على المسلمين السبيل لتحقيق هذه الشورى على اوسع نطاق جغرافي .

ومعلوم أن الله تعالى قد أنعم على هذه الأمة المرحومة بما لا يحصى من النعم والخيرات الكثيرة . فلقد اختصهم بخطابه وكلامه القديم ، وأكرمهم بمعارف حجّه ، وأسكنهم في أراض خصبة غنية بما فيها من مختلف المعادن وبما ينبع فيها من البترول الذي هـــو عصب حياة هـــذا العصر .

وان هذا الحق الذي يجب أن يحققه المسلمون يدعونا الى أن نعلم بأن كلا من الحرمين الشريفين بما فيهما من مظاهر العمران انما هو قلب الدولة الاسلامية الواحدة ومن ثم فهما لاينسبان الى طائفة خاصة من المسلمين وانما يتصلان بنسب وثيق بكل مسلم بحكم كونه جزءاً لايتجزأ من مجموعة البناء الاسلامي الشامخ الذي قال عنه الرسول ﷺ [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً] .

ولاريب أن من أهم ماترك الرسول ﷺ من وصاياه لامته الاسلامية ، أن لايترك المسلمون أنفسهم في عصر من العصور ، (وهم يبلغون مئات الملايين) دون وجود من يمثلهم ويقوم فيهم مقام رسول الله ﷺ في مهمة جمع الشمل وتوحيد الكلمة وشد المسلمين بعضهم الى بعض .

وإذا علمنا أن أرباب جميع الاديان المختلفة الاخرى سواء منها ماكان أصلها سماويا أم لا قد وضعوا فيما بينهم من يمثلهم تمثيلا رسميا في اطار من التنظيم السياسي والدولي . علمنا أن كل من يقف عثرة في سبيل تحقيق هذا الواجب من المسلمين او يراه رجعية وتخلفا ، ينحط الى ادنى درك في الهمجية والخلافة والذل والجبن .

ان ضرورة وجود ممثل رسمي عن مجموع ملايين المسلمين إنما هي من ضرورة وجود الرأس للجسد . واذا كنا نريد ان نبحث عن وجود الاسلام فوق هذه الارض فلنبحث اولا عن رأسه اين هو ؟!..

أما والله أن رسولنا عليه الصلاة والسلام لم يدع امته هذه او لحق بالرفيق الاعلى وهي فوضى ، ولم يدفن في مثواه قبل أن يقوم من ينوب عنه في تمثيل المسلمين وجمع كلمتهم .

هذه مشكلة فالى متى ننتظر حلها ، بل ومن أجل أي عقبة ننتظر ذلك ، بل وأي شيء هذا الذي ننتظره ؟ أما انه ليس لتحقيق هذا الواجب خير من هذا اليوم .

وان جميع المسلمين وبما فيهم من علمائهم ومفكريهم لمسؤولون عن تحقيق هذا الواجب الجسيم . ان أي مسلم لايسعه انكار ضرورة هذا الحق ، بل ان الشك ليخامر اسلام من يريد أن يشكك في هذا الواجب .

ولتحقيق هذا الواجب ينبغي الالتقاء مع المفكرين والعلماء وذوي الاختصاص ممن توفر لديهم النية الطيبة والاخلاص ليبدوا برأيهم في هذا الصدد . ولاريب أن أولئك الذين يسعون جهدهم لأداء هذا الحق وتطبيقه لايستحقون الأجر الاخروي فقط بل يسجلون في أشرف صفحات التاريخ ويخلد ذكراهم مع كبار الابطال والفاتحين . كما أن أولئك الذين يحاربون هذا الحق لايستحقون بسبب ذلك عذاب الله وحده بل يسجلون على أنفسهم في الدنيا أيضاً اعظم اهانة لانفسهم ولأمتهم وأجيالهم خيانة لوصية رسول الله ﷺ .

ذلك أن أي مجلس شورى اسلامي عام من هذا النوع لايقتصر فيما يأتي به من فائدة على المسلمين وحدهم ، بل انه اكبر عامل من عوامل التوازن لبقاء الامم آمنة من عوادي الحروب والخطوب . اذ ان من شأن هذه المؤسسة الالهية الكبرى ان تجعل العلم سخراً للخير واسباب السعادة وان تضمن بقاء الحقوق لأربابها في حصن من الاخلاق والفضيلة . وأن توحد أسباب الصلح بين الاطراف المتخاصمة التي تظل تهدد الدنيا بشرورها وبغيها .

وواضح إن مثل هذه المهمة لايرجى لاي مؤسسة اتحادية تطبيقها بحق الا اذا كانت هذه المؤسسة مؤلفة من دول هذا العالم الاسلامي الذي يحمل هو وحده في ثناياه مبادىء الخير والسعادة نابعة من عقيدة التوحيد والاسلام لدين الله وتشريعه .

ان هؤلاء المسلمون الذين تشيع فيما بينهم بسبب فرقتهم وشتاتهم الافكار السيئة والاتجاهات الفاسدة ، لابد أن تصلح فيهم هذه المفاسد ويتقوم بينهم كل اعوجاج حينما تتألف منهم دولتهم الكبرى التي تبلغ مئات الملايين ، إذ لاريب أن قوتها واجتماع ذوي الرأي والفكر السديد فيها من شأنه أن يقضي على كل فساد واعوجاج .

وبجعلها تزدان بأرقى النظم الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التي تضمن لها بقاء الرفاهية والسعادة .

إن مثل هذه الدولة الكبرى التي تنبض بروح الاسلام لاريب انها ستكون هي المرجع لآلام ومشاكل الدول الاخرى ، وستكون هي وحدها معقد الآمال لاعادة الحقوق المسلوبة الى اهلها وانصاف المظلومين من الظالمين ، بدلا من أن يستنجد الناس كما هو الحال اليوم من ظالم بمن هو أظلم منه .

وبناء على ذلك فلا ريب ان اية سعادة أو نظام او راحة ضمير لايمكن لاي دولة ان تحمل راية ذلك لتحقيقه تحقيقا صادقا الا اذا كانت هذه الدولة ممثلة في الامم الاسلامية وحدها ، لاشبهة في هذا ولا ريب .

وليس أنسب في هذا المجال من أن نتذكر كلمات بطل اكبر ابطال وقادة الفتح الاسلامي في عصر رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ، الا وهو سيف الله خالد بن الوليـــد : تلك الكلمات التي القاها ممتطياً صهوة جواده على سمع اجناده في بصرى (اسكي شام) .

لقد آمنا بأن شرف هذا الدين المحمدي لايمكن للفكر أن يحدد ثمنه من الروح أو النفس والمال ، ولقد آمنا بأن حماة الامانة الاسلامية وورثة أولئك الاسلاف من صحابة رسول الله ﷺ ومن بعدهم ممن باعوا كل غال ونفيس في سبيل حفظ هذه الامانة واجناد محمد بن عبد الله ﷺ الذي أخبر أمته بأن لاتفل مااستمسكت بكتاب الله وهدي نبيه لقد آمنا بأن هؤلاء الورثة ان يبتعد عنهم التوفيق بحال ان اخلصوا النية وقاموا بعزم وصدق من اجل اقامة هذه المؤسسة الموحدة التي تكلؤها راية توحيد الله عز وجل .

ولا ريب أن هذا العصر هو أنسب وقت لتدارك هذا الواجب ، وأن قواعد الاصلاح مهيأة في كل جهة من جهات هذا العالم وأن أولئك الذين أقاموها بدرايتهم وعميق خبرتهم متوفرون في كل بلدة ومكان ، وان فطاحل العلماء والمفكرين لايزالون يقومون قدر استطاعتهم بهذه الوظيفة المقدسة . ان مثل هذه الجهود والقوى الخيرة التي أنعم الله بها على عباده المسلمين لاريب أنها قادرة على اقامة بنيان المسلمين كما ينبغي أن يقام وعلى حفظ ساحة هذا الدين بما فيه من عقيده ونظام واخلاق من كيد الكاذبين وعدوانهم .

انني لاأقول ان مثل هذه القوى المتوفره قادرة على إعاده المجد والحياه الصحيحة للمسلمين وحدهم ، بل إن مثل هذه القوى لحري بها ان تهب معنى الحياه الكريمة للعالم أجمع وأن تشعر بمعنى وجوده في هذه الدنيا .

ولأجل تحقيق هذه الغاية يجب على المسلمين أن ينقادوا في طواعية الجند المخلص لقيادة كبرائهم وعلمائهم ومفكريهم شاكرين سعيهم مؤيدين لخطواتهم . ذلك أن اليق من

يخلص الخدمة للانسانية الكبرى في هذا العصر هم هؤلاء القاده المخلصون الذين وعوا عن عن فهم ودراسة حقيقة النهج الاسلامي وروحه .

اننا ندعو الله تعالى متوسلين باسمائه تعالى وصفاته العظيمة ،وبحبيبه المصطفى ﷺ وصحابته البررة الكرام أن يوفق المسلمين لتحقيق وحدتهم التي أمرهم بها وأن يجد في جذورها اسباب البقاء والدوام .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك ، ولك الثناء والمنة على جميع ما انعمت به وتفضلت) ونصلي ونسلم على نبيك محمد ﷺ وعلى آله وصحابته الكرام ، وعلى كل من تبعه وقام بواجب المسلم في تحقيق واجبات دينه خير قيام وعلي المجاهدين والشهداء والصالحين الذين سبقونا باحسان .

إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين والحمد لله

رب العالمين

وكان تمام تحريرها وفتح ابواب تقريرها يوم الاثنين السابع من

شهر ربيع الانور سنة خمس وتسعين ومائتين والف

من فقير ربه تعالى ابراهيم بن ادريس

السنوسي الفاسي كان الله له

ولوالديه ولجميع المسلمين

آمين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٣	٢٢	في الحال والمال	في الحال والمآل
٣٤	١٣	عَبْدُ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ	عَبْدُ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ
٣٥	٨	ولم اطلب قليل	ولم أطلب قليلاً
٣٥	١٤	وجه المشروع	الوجه المشروع
٣٦	٢	بالتشامٌ	بالتشامِ
٣٧	٣	والبغضةُ	والبغضةَ
٣٧	٥	وتواصوا بالمرحمَةُ	بالمرحمَةِ
٣٨	٣	المؤمن آلَفٌ مألوفٍ ولا خير فيمن لا يأَلَفْ	المؤمن آلِفٌ مألوفٌ ولا خير فيمن لا يأَلَفُ
٣٨	١٠	أحدِهما	إحداهما
٣٨	١٥	لطائفةٌ	لطائفةِ
٣٨	١٦	الناسَ	الناسُ
٤٠	٢٠	بعضهم وبعض	بعضهم مع بعض
٤١	١٣	نحن معاشِرُ الانبياءُ ماتركنا صدقةً	نحن معاشرَ الانبياءِ ماتركنا صدقةٌ
٤٥	١٠	وقعوا هاوية المذلة	وقعوا في هاوية المذلة
٤٩	١	هما أكبر دولتي	هما أكبر دول

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	١	ضِعفَ اليقين	ضعفُ اليقين
١٧	٢	لو أشرق نور اليقين في قلبك	لو أشرق لك نور اليقين
١٧	٦-٧	اذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء واذا سخر الإله أناساً وقيل لسعيد فإنهم سعداء	واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء واذا سخر الاله اناساً وقيل لسعيد فانهم سعداء
١٧	١٩	وقد نفاذها	وقوة نفاذها
١٩	٤	لا يَسْخَرَ	لا يَسْخَرْ
٢٠	٧	واستناد الازدراء	واسناد الازدراء
٢١	١	يُحَقر أخاه المسلمُ	يَحْقِرَ أخاه المُسْلِمُ
٢١	١	كلّ المسلمُ	كلُّ المسلِمِ
٢٢	١٥	آكد اعتباراً	آكد اعتبار
٢٤	٧	عبد الايمان	ايمان العبد
٢٤	١٨	والسهرْ	والسهرِ
٢٤	٢١	يا نُوحَ وإنّهُ	يا نوحُ إنّهُ
٢٦	٧	يتحقق الامل	بتحقق الامل
٢٧	١٦	سَبْعَةٌ يَظِلّهُمْ	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ
٢٧	١٦	إلا ظلّه	إلا ظِلُّه
٢٩	١١	لا يُؤمنُ أحدَكمْ حتى يُحبُّ لأخيه مايحبُ لِنَفسِهِ	لا يُؤمِنُ أحدُكمْ حتى يُحبَّ لاخيه مايحبُّ لنفسه

١٣٤٠

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 080197823